والاعمار بيد الله » واذا سُئلت هل يباع القطن بالاسعار الحاضرة اجابت « عصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة » واذا سُئلت عن من صحة للخبر الفلاني اجابت « لا دخان بلا نار » اي كان قلم البلشت يكتب بالانكليزية ما هو بمعنى هذه العبارات . ولا يخفى انها كانت اذا التبهت لا تتذكر انها كانت تحرك البلشت ولا انها كتبت ما كتبت

الفهد في الصيد

لا يزال ملوك الهند يربون الفهود ليصطادوا بها الغزلان كما كان يفعل ملوك الفرس والعرب

ومن عادتهم انهم اذا زارهم ضيف كريم وارادوا تسليتهُ خرجوا معهُ لصيد البر وهو الصيد الاكبر او لصيد الغزلان وهو اقل شأناً وقد يقيمون المنازل حيث يكثر الصيد يضعون فيها الافيال والفهود لهذه الغاية

كتب بعضهم في مجلة العالم الانكليزية قال كنت ذاهباً انا وصديقي فلان الى بلاد كشمير في اعالي السند فعرّجنا على جمّو قصبتها الشتوية اجابة لدعوة المهرجا وهي في السفح الغربي من جبال الهملايا على حد سهول البنجاب ومضينا الى المنزل الذي دعانا اليهِ لنخرج منهُ للصيد فوجدنا المهرجا غائباً لاشغال اقتضتها مهام بلادهِ لكنهُ اعدَّ لنا ما يلزم لراحتنا فامر أن نعطى فيلين نركبهما اذا خرجنا لصيد البر . فوجدنا ان صيد البر في السهول ضرب من المحال لكثرة ما يقتضيهِ من الافيال والرجال فعدلنا عنهُ بعد ما حاولناهُ على غير جدوى وعزمنا على الرجوع الى طريقنا لكن الفهّاد اشار علينا ان نذهب معهُ لصيد الغزلان لان صيد البر لا يتيسر في غيبة المهرجا

والصيد بواسطة الفهود خاصٌّ بالفهّاد نفسهِ والذين يخرجون معهُ انما هم مشاهدون لاغير لكنهُ لا يخلو من التسلية ولاسيما اذا شاهدهُ الانسان اول مرةً ولم يكن معهُ اناس كثيرون ينفرون الطرائد و يقفون بينهُ و بين الفهود فلا يراها في تهيئها للصيد ووثوبها على طرائدها . وهذا هو الصيد الذي قُسم لنا ان نراهُ فلم نخرج اليهِ بالفيال ولا بموكب كبير

قمنا في الصباح وخرجنا مع الفهّاد الى الجهة الغربية من جمّو ومعهُ فهدان فقط في مركبة تجرها الثيران وسرنا والسهول تنطوي امامنا الى ان شاهدنا الغزلان عن بُعد

التهدُّد والوعيد على ظهر المركبة

مقتطف فبراير ١٩١٧
امام الصفحة ١٦٤

فصار علينا ان ندنو منها حتى نصير على نحو خمسين متراً الى مئتي متر والاَّ فلا سبيل للفهد ان يصل اليها . ويجب ان لا نأتيها من مهب الريح لئلاَّ تشتروحنا وتنفر منا . والمكان الذي ذهبنا للصيد فيهِ كان حرَماً للهرجاً لا يجوز الصيد فيهِ بالرصاص فلم تكن غزلانهُ شديدة النفار

ومرَّت ساعتان والغزلان تنفر منا حالما تسمع صوت المركبة ولذلك يرسل امراء الهند الرجال لتزجرها وتضطرها الى الدنو من الفهود . ثم صعدنا الى ارض عالية واشتدت الريح فاخفت صوت المركبة وبعد هنيهة رأينا الفهدين تقفزا فصرَّت اذانهما وفتحت مناخرها وارتجف كفلاها فنزع القوَّاد الغطاء عن احدها وشدَّهُ على الثاني فزاد هذا اضطراباً حتى كاد يثب من المركبة لو لم يشدَّ القواد برباطهِ شداً عنيفاً فادرك انهُ غير مقصود للوثوب فسكَّن جاشهُ مكرهاً حرداً ورأينا حينئذٍ بضعة غزلان ابطلت الرعي وجعلت تنظر الينا نظر المرتاب حتى اذا وصلنا الى رأس الاكمة المقابلة لها نفرت كالنعام الجافل واطلقت اظلافها للريح وكانت المسافة بينها وبيننا اولاً اقل من خمسين يرداً . فرأى الفهاد ان بدعها تبعد اولاً ليزيد اهتمامنا بها وبينما نحن ننظر اليها مستغربين صمتنا خيط البراش على المركبة ورأينا الفهد مارقاً في الهواء كالسهم وفي لحظة من الزمان رأيناهُ على عاتق اكبر تلك الغزلان يعمل فيهِ انيابهُ ويراثهُ فلم نكد نصدِّق ما تراهُ عيوننا حتى كأنهُ من اعمال المشعوذين ولم يكن الاَّ كلا حول ولا حتى رأينا الغزال مطروحاً على الثرى لان الفهد ضربهُ على ساسلة ظهرهِ ضربة خطفت انفاسهُ ولما وصلنا اليهِ وجدناهُ قائماً فوقهُ يمزق رقبتهُ ليشرب دمهُ وهو غاية ما يتالهُ منهُ

واصطدنا غزلاناً اخرى ذلك اليوم ولكن صيد الغزال الاول كان ابهجها لاننا رأيناهُ في كل درجاتهِ من اولها الى آخرها . وظهر لنا ان الفهد امهر الحيوانات في مساورة صيدهِ كما انهُ اسرعها كلا فيخلفي وراء الادغال والصخور ويدور ويلتف الى ان يتمكن من اقتناص الطريدة اذا وثب عليها . ويحدث في بعض الاحيان ان يهجم فهد على غزال مواجهة والغزال خافض رأسهُ فيرفعهُ بغتة ويضربهُ بقرنيهِ فيوردهُ حتفهُ ويصح فيهِ قول النابغة الذبياني حيث قال

شكَّ الفريصة بالمدرى فانفذها ... شكَّ المبيطر اذ يشفي من العضدِ

كأنهُ خارجاً من جنبِ صفحتهِ ... سفّود شرْبٍ نسوهُ عند مفتأدِ

وبعد ان قضينا لبانتنا من الصيد اردنا الفهاد ما هو اغرب من صيد الغزال الاوّل وهو اننا كنا على رأس اكمة وامامنا اكمة اخرى بعيدة عنا وبين الاكمتين وادٍ عميق فادرك بزكانته ان على سفح الاكمة المقابلة لنا غزلانًا ترعى ولم يكن في الامكان ان ننزل بالمركبة الى الوادي ونصعد بها الى الاكمة الاخرى وقال رفيقي وكان على معرفة تامّة بامر الصيد ان اغراء الفهد بالذهاب الى هناك ضرب من المحال . واراد الفهاد ان يرينا شيئًا لم نرَهُ من قبل فنزع الغطاء عن اكبر الفهدين وامسك رأسهُ بيديهِ واشار الى ذلك الموضع ففهم الفهد مرادهُ وهو لا يرى الغزلان ولا نحن نراها فنبَّهتْ كل حواسهِ ووقف قلقًا متحفزًا ولكن لم يظهر لنا انهُ رأى شيئًا فقال رفيقي ما مراد هذا العجوز فلا يعقل انهُ يريد ارسال الفهد وراء الغزلان على هذا البعد . والظاهر ان الفهاد فهم مرادهُ فاجاب فالهندستانية انهم انهُ لا يرى الغزلان من هنا ولكنني سأدلهُ الى اين يذهب ليراها قاصيرا قليلاً تربا . ثم امسك رأس الفهد بيديهِ وادارهُ نحو الجهة التي كانت الغزلان ترعى فيها واشار اليها وردد بعض الالفاظ ودفعهُ من على المركبة فوثب الى الارض وجعل يعدو حتى غاب عن بصرنا . والظاهر ان الغزلان درت بنا فعدت امامهُ وصعدت الى اعلى اكمة وانحدرت الى الجانب الآخر قبلنا وصل الى حيث كانت تاقتنق آثارها ولكنهُ لم يدركها فعاد ادراجهُ مطرقًا خجلاً ذليلاً ولكن اتضح لنا انهُ فهم مراد معلمهِ ولولا بُعد المسافة لادرك الغزلان . انتهى

هذا وما ذكرهُ الدميري في حياة الحيوان الكبرى يؤيد ما تقدم ولو جاء ذكرهُ عرضًا فقد قال ان كليب بن وائل كان يصطاد بالفهد وكذلك ابو مسلم الخراساني وهرون الرشيد وان الفهد اذا وثب على فريستهِ لا يتنفس حتى يناولها فيحمي لذلك وتمتلئ رئتهُ من الهواء فاذا اخطأ صيدهُ رجع مغضبًا . ومن امثالهم اوثب من فهد . لكنهُ قال ايضًا ان الفهد « ثقيل الجثة يحطم ظهر الحيوان » . والظاهر انهُ قرأ او سمع ان الفهد يحطم ظهر فريستهِ فظن انهُ ثقيل وقال انهُ اذا حمل على حيوان حطم ظهرهُ . وقال القزويني ان الفهد شديد الغضب ذو وثبات بعيدة يستأنس بالناس . وقال ابن سيده في المخصص الفهد ضرب من السباع يُتصيَّد بهِ واكثر يجمعهُ اسطرمع انهُ كتب عن الذئب اكثر من ثلاث صفحات وعن الضبع اربع صفحات دلالة على ان معرفة العرب بالفهد كانت قليلة جدًّا لانهُ ليس من حيوانات بلادهم

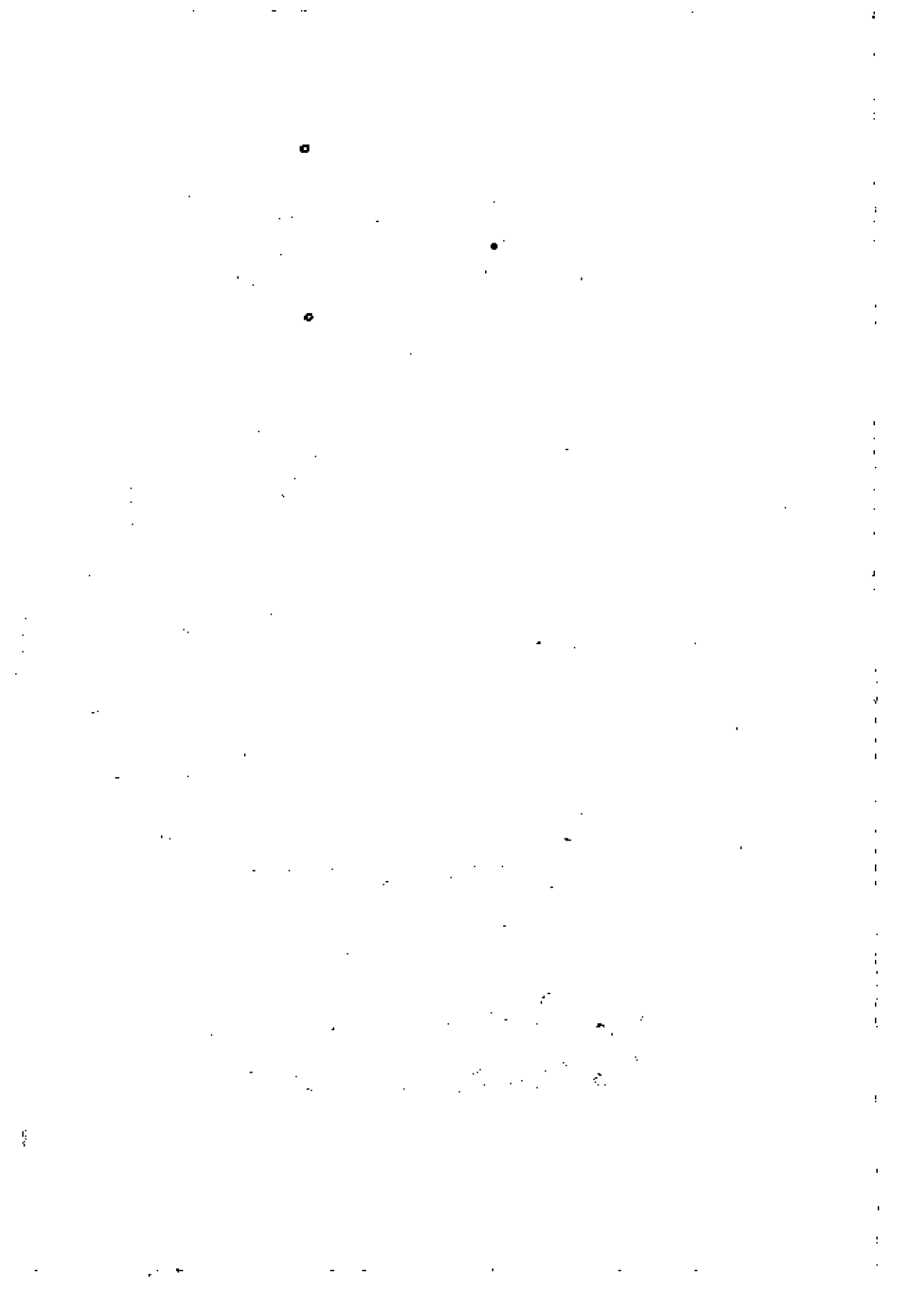

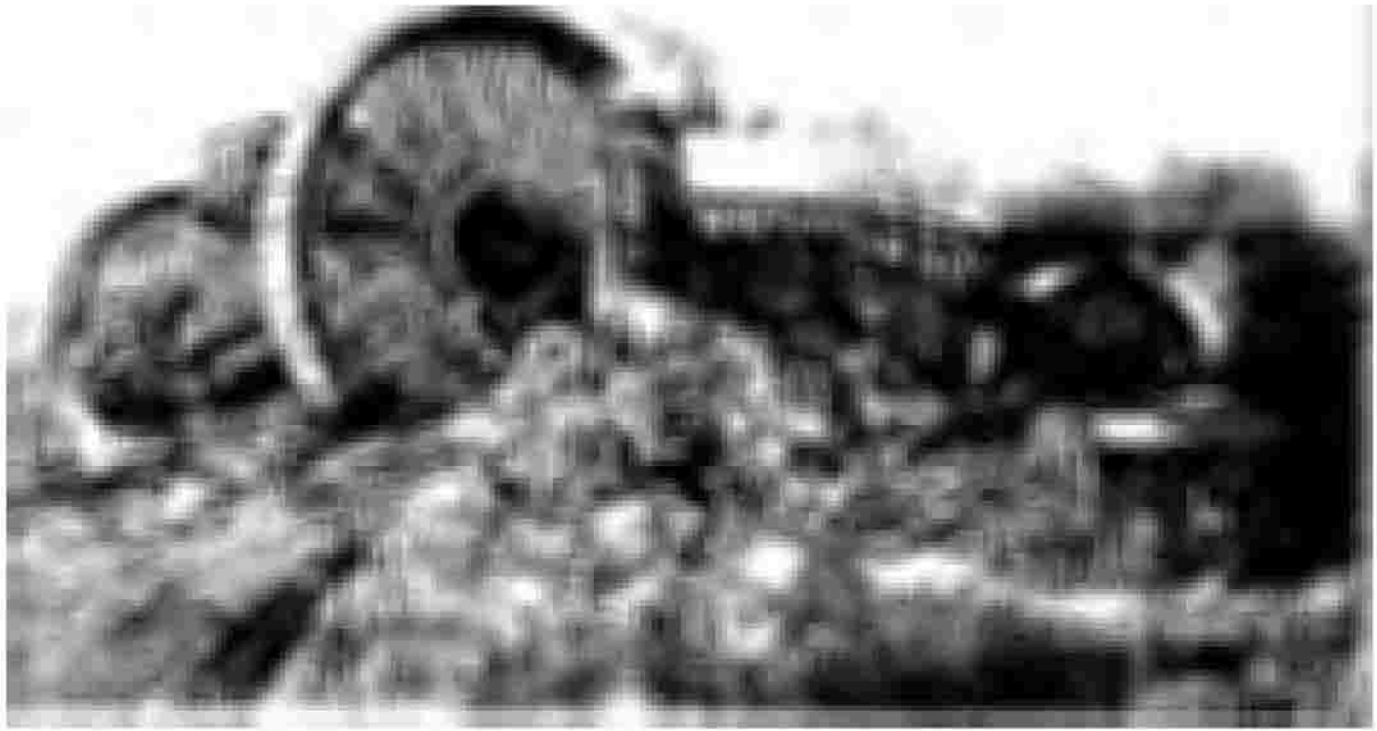

الدردنوط البري يحرب المباني في طرابه

مقتطف فبراير ١٩١٧
امام الصفحة ١٦٧